

استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بمدينتي : درج والريانية (بحث مقارنة في التراث العمراني)

إعداد : أ.د. عيسى حسن غلام . الجامعة المفتوحة
د. الزروق سالم عون . جامعة الزنتان

أولاً - الإطار العام للبحث - 1 المقدمة :

إن حياة الإنسان منذ وجوده على البسيطة عمل جاهداً على إنشاء مساكن تقيه برد الشتاء وحرارة الصيف، وتطورت هذه الإنشاءات المعمارية مع تطور حياة الإنسان، وما صاحبها من الانتقال من حياة الاحتفاء بالأشجار والكهوف إلى حياة المباني الصخرية بمختلف أشكالها وأنواعها، فهي التي مكنت الإنسان من الاستقرار والاعتماد في غذائه على الزراعة بدل التنقل من مكان إلى آخر لصيد الحيوانات ورعايتها بعد استئناسها، وبطبيعة الحال هذا الاستقرار أدى إلى إقامة إنشاءات معمارية تعتمد على الصخور في بناء الجدران والأشجار في سقوفها وهو ما يلاحظ عن المباني القديمة في مدينتي درج والريانية .

2-1: مشكلة البحث وأسئلته :

إن الإنشاءات المعمارية في أي مدينة تبين بوضوح سمات الحياة لسكاني هذه الإنشاءات من حيث المواد وأساليب البناء وطرائق سقف البيوت ونوع مادة الملاط المستخدم فيها، ونظراً لاختلاف بيئة المدن ما بين المدن الواقعة فوق سطح الجبل أو تلك المدن التي في أطراف الصحراء أو في الواحات لها تأثير كبير على نشاط السكان المتواجدين بها، ولذا تعددت أنواع هذه المساكن بين منطقة وأخرى، وإن كان العامل المشترك بينها هو استخدامها أشجار النخيل في سقوفها، ونظراً للتطور السريع لحياة السكان والانتقال من معايير ومواصفات السكن من بيوت قديمة ذات سقوف مستخدمة فيها جذوع الأشجار إلى مباني حديثة معتمدة على الطوب والخرسانة الأسمنتية، مما قلل الاهتمام بأساليب البناء التي كانت مستخدمة، ولذا تعرضت لعوامل الهدم مثل : الظروف المناخية وما يوجد بها من أمطار ورياح وارتفاع لدرجات الحرارة، بالإضافة للعوامل البشرية التي أدت إلى تخريب أسقف هذه الإنشاءات المعمارية وما بقي منها آيل إلى السقوط بسبب عدم الترميم، وتبرز مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي :

ما مدى الاستفادة من شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية ؟ .
ويتفرع من هذا التساؤل مجموعة أسئلة هي :

- 1- كيف يتم استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بمدينة درج ؟ .
- 2- كيف يتم استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بمدينة الريانة ؟ .
- 3- ما أوجه الاتفاق في استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بالمدينتين ؟ .
- 4- ما أوجه الاختلاف في استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بالمدينتين ؟ .

3-1: أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التعرف على كيفية استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بمدينة درج والريانة، والتعرف على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف في استخدام هذه الشجرة في الإنشاءات المعمارية بين المدينتين، والتعرف على أوجه الاختلاف في استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية.

4-1: أهميته البحث :

تعود إلى النقاط الآتية :

- أ - إن إقامة مقارنات بين المدن يعطي فرصة للتعرف على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف في استخدام أشجار النخيل في الإنشاءات المعمارية وتبادل الخبرات بينهما في طرائق وأساليب استخدامها للمحافظة عليها .
- ب - يعطي هذا البحث أهمية بالغة بإشعار الجهات المعنية في المدينتين بأهمية المحافظة على الموروث الثقافي الخاص بالإنشاءات المعمارية وإقامة ندوات ومؤتمرات للتوعية بأهمية هذه الإنشاءات المعمارية في الجذب السياحي لكلا المدينتين .
- ج - تزويد المكتبة بورقة علمية تثري الحياة الثقافية وتبرز الجوانب الإنسانية المتمثلة في الإنشاءات المعمارية التي استخدمت النخيل وكانت سائدة في فترة من الفترات في كلتا المدينتين .

4-1: حدود البحث :

- أ - الحدود الموضوعية : استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية .
- ب- الحدود المكانية: مدينة درج ومدينة الريانة.
- ج - الحدود الزمنية منذ فترات قديمة تعود إلى عشرينات القرن الماضي .

1-5: أدوات جمع البيانات :

قام الباحثان بالزيارات الميدانية للمباني القديمة في المنطقتين بالإضافة إلى تتبع الروايات الشعبية ولقاءات بزوي الخبرة في استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية في المدينتين .

1-6: المصطلحات المستخدمة في البحث :

1- الاستخدام : عرف الاستخدام كاسم في معجم المعاني الجامع بأنه " استخدام كل الإمكانيات واستغلالها " .

1- النخيل : عرف في (معجم أسماء النبات) بأنه " نخل - دقل ، ثمرها الغض بلح ، وثمرها الجاف تمر – وأعوادها تسمى جريد وأوراقها الخوص وشوكها السل ، وطرف الجريد الذي يلي جسم النخلة كحف ، والعرجون هي الشماريخ التي تحمل البلح ، والعزق هو الذي في الشماريخ (1) .

ج- الإنشاءات : إنشاء : اسم ، الجمع : إنشاءات، إنشاء المباني : تشييدها ، أشرف على الإنشاءات الجديدة بالمدينة ، تجهيزات ومؤسسات ومنشآت ثقافية واقتصادية واجتماعية (2) "

د- المعمارية : العمارة هي " فن لإقامة المباني تتوافر بها عناصر المثانة والاقتصاد والجمال وتفي بحاجة الإنسان الروحية والاجتماعية والاقتصادية " (3) .
هـ التراث العمراني : هو " كل ما شيده الأجداد من مباني للسكن أو حصون أو قلاع أو مسلات أو سدود أو الأثاث العقارية " (4) .

التعريف الإجرائي :

يعرف الباحثان استخدام شجرة النخيل في الإنشاءات المعمارية بأنها " استغلال واستعمال شجرة النخيل من قبل الأهالي في كلتا المدينتين (درج - الريانة) .

ثانياً - الجانب النظري

1-2: شجرة النخيل واستخداماتها المحلية : عرفت شجرة النخيل منذ آلاف السنين كما أشارت لذلك مصادر التاريخ القديم (5) ، واستخدمتها شعوب الحضارات القديمة ووضعتها على عملتها ونقشتها على معالمها العمرانية والشكلان التاليان يوضحان ذلك :



صورة تبيين شجرة النخيل على عملة فينيقية (6)



صورة تبيين النخيل المثمر بمباني قرزة (7)

وقد أشار (عمران أحمد حسين الشريف) إلى استخدام هذه الشجرة في تلك الحضارات نقلاً عن مجموعة مؤرخين سابقين بأن "الجرمنت كانوا على معرفة بالزراعة حيث غرسوا أشجار النخيل، كما ذكر بليني: "أن الجرمنت مغطاة بأشجار النخيل وثمارها كبيرة الحجم وحلوة المذاق" وذكر هيرودوت أن "النسامونيس يذهبون إلى منطقة أوجلة ليجمعوا التمور حيث أشجار النخيل هناك في كل مكان بكثرة وجميعها تكون مثمرة" (8)، ومن خلال الشواهد السابقة يتضح جلياً معرفة أشجار النخيل منذ الأمم السابقة واستخدامها من قبلهم.

وورد ذكرها في القرآن الكريم حيث قال الله - تعالى - : (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) [سورة يس: الآية 33] ، وفي الأحاديث النبوية قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ " [رواه أحمد في المسند، رقم الحديث: 12981] ، وقال : " بَيْتٌ لَا تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ. [رواه مسلم في صحيحه] ، ولذلك اهتم الأهالي بغرسها

في مختلف المناطق الملائمة لنموها، واستفادوا منها فتكاد الشجرة الوحيدة التي لا يرمى منها أي شيء اطلاقاً، فاستخدم ثمارها للغذاء البشري، ونواتها طعام لحيواناتهم، وجذوعها في سقوف المساكن، وأبوابها، ونوافذها، وسلالم للصعود، ولتوزيع المياه، ومن سعفها وجريدها صنعت السلال، والأطباق، والمراوح، ومحطات لحماية المزارع من الرياح، وزحف الرمال، ومن عصارتها صنع الشراب، ومن قلبها أكلت العصيدة، ومن ليفها كانت الحبال، والشكل التالي يبين العديد من الأدوات التي صنعت من نبات النخيل:



صورة لبعض الأدوات التي صنعت من شجرة النخيل.

2-2: استخدام شجرة النخيل بمدينة درج:

أولاً - مشاهدات الرحالة والمؤرخين عن النخيل بمدينة درج: سجلت الوثائق المحلية القديمة قبل أكثر من 300 سنة حضور شجرة النخيل بقوة في المبيعات والشراء والمغارسنة والتخريص ومقايضة التمور ببعض البضائع الأخرى.

ويروي الرحالة الإنجليزي (ريتشاردسن) الذي مر بالمنطقة عام 1845م أن تمر مدغوية درج كان من مكونات طعام رحلته في الصحراء. كما يروي الرحالة الألماني (رولفس) الذي مر بواحة درج عام 1865 م أن عدد النخيل بواحة درج قد يصل إلى 300 ألف نخلة في القرى الأربع لمدينة درج، ولو أن هذا الرقم قد يكون مبالغ فيه إلا أنه - أيضاً - ذكر في مواضع أخرى أهمية النخلة وغلاء ثمنها بمنطقة درج مقارنة بسعر الأرض.

تمر درج أو كما يحلو لبعض المؤرخين تسميته تمر درج "تصغيراً" كان حاضراً في معارك الكفاح الليبي ضد المستعمر الإيطالي حيث يروي أحد الباحثين أن تمر درج ويقصد (المدغوية) كان أحد مكونات زاد المجاهدين في مناطق الجبل والساحل

الغربي ، كما يروي الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية أن مدينة درج تشتهر بكثرة عدد النخيل بها ، وهذا أهم طابع يميزها .

ثانياً – **أنواع التمور بمنطقة درج** : حبا الله مدينة درج بأنواع وأصناف عديدة من التمور منها بعض الأصناف الأصلية بمدينة درج وأصناف أخرى تعتبر مستوردة من فترة السبعينات إلى اليوم وتتعدد هذه الأنواع وتتنوع استعمالاتها وفوائدها الغذائية فمثلاً المدغوية التي تشكل أكثر من 50% من نخيل درج تعد الأجود على الإطلاق في صناعة رب التمر كما يؤكد بعض الباحثين أن رب التمر المستخرج من المدغوية يعد وقاءً شفاءً من العديد من أنواع السرطان، ومفيد لأمراض الصدر، كما أن احتواء هذا النوع من التمر على نسبة محدودة من السكر يجعله مفيداً جداً ومناسباً لمرضى السكر

ولعلنا نذكر هنا بعض الأنواع منها 40 نوعاً من الأنواع المنتشرة في مدينة درج منها على سبيل المثال لا الحصر 29 نوع من الأصناف الأصلية بدرج وهي :

مدغوية	تمودي	تلمان	وفان	تيسيوين	زقاغ
تاورة حمة	تاورة ياقة	تاورة زيوان	صاغد	تلفطاس	كنتاية
حموري	مضغوا	غرسة نصر	سكرة	صبع العروس	صفراية
ايسوس	تنصيلي	سبع نصوص	الخضراية	تينيان	تاسفرت
تاغيات	دقلاية	مريجينة	تونجالت	العسالة	

وهناك بعض أصناف النخيل المستوردة بدرج منذ السبعينات حيث تم جلبها من الجنوب الليبي والبعض الآخر من الدول المجاورة تونس والجزائر :

دقلة	غرس	أضوي	صعيدي	البرنسي	فزاني
العجوة	تاليس	تكرمست	كركابي	أبل	

ولأهمية هذه الشجرة بمدينة درج أنشأت الدولة في سبعينات القرن المنصرم مصنعاً لتعليب التمور بمدينة درج تابعاً لشركة " المعمورة " سابقاً ، أسهم آنذاك في توفير الغذاء من التمر الجاف لطلاب وتلاميذ المدارس وكان أحد مكونات السلة التموينية التي تباع في الجمعيات الاستهلاكية في فترة معينة .



ثالثاً - الصناعات التي تعتمد على خامات النخيل في مدينة درج قديماً وحديثاً :
النخلة شجرة مباركة يستخدمها أهالي درج في عدة جوانب :

1. كغذاء

1. **عجن وحفظ التمور** : بحيث يتم غسل التمور وحشوها وحفظها على مدار العام في جرار، والأكل منها على طول العام ومن الأنواع التي تكبس (التمودي - التلمان - صبع العروس) ، وتضاف إليها المكسرات والجلجلان والبسيصة ونكهات أخرى حديثاً.

2. **عسل التمر**: استخلص قديماً بحيث يوضع تمر التمودي والتمور المعسلة في مكان مخصص لذلك في البيت الدرجي مرتفع مربوط بقناة (جادة) بها منسوب ينخفض تدريجياً ويصب في مكان تجميع لعسل التمر وهي شبيهة بالمربي اليوم .

3. **رب التمر** : ويصنع بمدينة درج بالطرق المحلية من تمر المدغوية الذي تشتهر به مدينة درج والذي يعد أحد أشهر أنواع التمور في صناعة الرب .

4. **الخل**: يصنع أيضاً من بلح النخيل ويخزن في جرار يستعمل على مدار العام .

5. **النوى** : يدق ويعطى كعلف للحيوان .

6. **صناعة القهوة** وهي من الصناعات المحلية النادرة والتي بدأت في الظهور حديثاً حيث ينظف نوى التمر ويغسل ويجفف ويتم تجفيفه بالنار (تحميس) ثم طحنه ليكون قهوة ممتازة شبيهة بالقهوة العادية .

7. **التمر غير قابل للأكل**: يتم طحنه وخلطه بالشعير كعلف للحيوانات .

8. **اللاقيبي**: كان يستخرج قديماً بدرج ويعتبر غذاءً ومنظفاً لمعدة الإنسان .

9. **دخلت التمور في العديد من الصناعات الغذائية الحديثة** حيث دخل التمر المعجون في صناعة حلويات (المقروض - المعمول) كما دخل رب التمر في صناعة (الكيكات - حلوى الكرميل) .

2. في البناء

1. **الجريد**: ينزع السعف من الجريد بحيث تستعمل العصي في أسقف المنازل والسلالم ، ويستعمل سعف ذلك الجريد فوق العصي في السقف ليمنع تسرب المياه من سقف المنزل عند هطول الأمطار .

2. **جذع النخلة (القرمة)** : وتستعمل أيضاً تحت الجريد كسقف للمنازل والسلالم .

3. صناعة أبواب المنازل من جذوع النخل .



الأسقف



تهيئة جذع النخل للصناعة السلام والأبواب



3. في الصناعات المنزلية :
1. السلال بأنواعها : كالكسكس والقرقود اللذان يستعملان كأواني لحمل وتخزين المواد الغذائية وغيرها .
 2. أغطية الرأس .
 3. المراوح .
 4. الملعف : لنقل الفواكه والخضروات والحبوب .
 5. القفاف : وهي سلة كبيرة تستعمل في الأفراح (العلاقة) .
 6. الحبال : وتصنع من الليف .
- وهذه الصناعات يقوم بها الرجال
7. صناعة الأطباق بأنواعها مثل(العرب – المنقوش – الشناشين – أطباق المناسبات وغيرها) وتتفنن النساء بصنع أنواع عدة من هذه الأطباق .
 8. صناعة القنان القنة تستعمل لتقديم وعرض الأكلات الجافة في المناسبات .
 9. الكيراس : لحفظ وتبريد الماء .
 10. الزرفونة : وتستعمل لحفظ الحلي والمجوهرات .
 11. الكنبوت : ويستعمل لتخمير السعف المستخدم في الصناعات النسائية السابقة .
 12. السابة : وتقدم بها خبز التتور أو الفطائر في الوجبات اليومية .
 13. سفرة السعف : وتستخدم كسفرة يوضع عليها أواني الطعام أثناء الوجبات الرئيسية اليومية .
 14. كحل العين : عن طريق تنظيف وحرق نوى التمر وطحنه وغربلته .
- وهذه الصناعات تقوم بها النساء



4. في مجال الزراعة والري : دخلت شجرة النخيل قديما في الزراعة والري



استعمال

المحوال : نقل التراب

صناعة



الري بالخظارة



الحكمة



1. **الزمبيل** : وكان يستخدم قديماً لنقل التراب والسماد الحيواني على الدواب لاستخدامها في استصلاح وتسميد الأرض .
2. **الخطارة**: وهي آلة جلب المياه من الآبار تصنع من جذوع النخيل .
3. **الحكمة**: وهي وعاء يستعمل في الخطارة لجلب الماء من الآبار .
5. **لوحات فنية** :

وهذه الصناعات ظهرت حديثاً يمتنها أفراداً محددين بالمنطقة أبرزهم الفنان : محمد بشير متيطا، ويمكن اعتبارها نوع من الفنون تقوم على استخدام بقايا جذوع النخيل في نحت أشكال متعددة ورسم وتصميم شعارات بإضافة بعض المواد والصبغات المحلية والتي تجعل منها شكلاً جميلاً .

النحت على جذوع النخيل

- 3- **استخدام شجرة النخيل بمدينة الريانية** : تنمو هذه الشجرة المباركة في حواف الجبل وحول عيون المياه ومن المعلوم بأن مدينة الريانية تحيط بها عيون المياه فلا يكاد يوجد تجويف في الجبل إلا وبه عين ماء والصورة التالية تبين عين ماء في حافة الجبل وبقرها شجر النخيل:



صورة تبين نخيل منطقة العين بالريانية

وبالتالي استخدم الأهالي المصاطب الحجرية لحجز المياه للأشجار النخيل، وكان الأهالي يحرصون على إنتاج التمور بحيث لا تترك شجرة نخيل بدون توير (تذكير) وذلك عن طريق زراعة أشجار النخيل المذكورة وقد استخدم أسلوب ممتاز مكن أشجار النخيل من التذكير لوحده عن طريق الرياح حيث زرعت هذه الأشجار وسط تجمعات النخيل، أما النخيل المتباعد فيتم تذكيره عن طريق تسلق الشجرة ووضع الذكار بداخل أغصانها، ومن أهم أنواع التمور المتوفرة في المنطقة (البكراري ، الطابوني ، البيوضي ، الليوسي ، الحليوي ، الحموري ، السوداني ، والعامي) مع العلم عدم زراعتها في منطقة الظاهر (سطح الجبل) وذلك بسبب انخفاض درجات الحرارة والظروف المناخية بالجبل وإنما زراعتها في حواف الجبل المعروف باسم (الكاف) أو في المنخفضات أسفل الجبل والتي تعرف بمناطق (الخشة) لارتفاع درجات الحرارة نوعاً ما مقارنة بظاهر الجبل .

أما كيفية استخدامها في الإنشاءات المعمارية بالإضافة إلى الاستخدامات السابقة حيث جميع أجزاء هذه الشجرة المباركة تمت الاستفادة منها، ومن المتعارف عليه في مدينة الريانية كغيرها من المدن المستقرة على حافة الجبل تتميز بإقامة بلدات متباعدة عن بعضها حسب تضاريس الجبل من مرتفعات وأودية، ولذا كل بلدة تمثل نمط عمراني خاص بها (بلدة أولاد علي – بلدة أولاد بحسين ، بلدة العين - بلدة أولاد عبدالعزيز - بلدة الأفاضل – بلدة العقبية – بلدة أولاد ريان) ، والنمط العمراني هو " مجموعة من

الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي تتفاعل معاً فينتج عنها النمط العمراني الذي يتنوع بتنوع وتعدد تلك الخصائص، وتؤثر الخصائص الاجتماعية بصفة خاصة في تشكيل وتكوين النمط العمراني للمدينة فينتج عنه أنماط ريفية أو شبه حضرية أو حضرية أو غيرها (9)، وتعد كل بلدة في مدينة الريانة ذات النسيج العمراني المتظام: أي ذلك النظام المعتمد على المباني المتراسة أو المتظامه " (10) والصورة التالية تبين نموذج المباني المتراسة:



صورة تبين المباني المتراسة لحممة الحلالبة ببلدة أولاد علي : الريانة

واستخدمت مواد البناء المتوفرة في المنطقة من صخور ومادة الجبس في الجدران والموارد الطبيعية المتاحة في سقف البيوت ويمكن تقسيم السقف إلى ثلاثة أنواع : (السقف البرميلي الكاموري) المبني بمادة الجبس والسقف الخشبي من أشجار الزيتون والسقف المصنوع من شجر النخيل)

1- السقف البرميلي (الكاموري أو الكمره) : إن السقف البرميلي المبني من الجبس وحسب طريقة البناء يتم وضع أكياس كبيرة الحجم وتسمى غرائر مملوءة بالتبن (القش) ثم يطرح عليها مادة الطين الممزوج بالماء على شكل كاموري - برميلي ويخلط الجبس بالماء ويوضع أعلى منها وعندما يجف تماماً تسحب الأكياس ويزال الطين فيبقى السقف منحنى على شكل اسطواني - برميلي والشكل التالي يبين ذلك :



صورة توضح السقف الكاموري (الكمره)

2- سقف أغصان الزيتون : يتم قطع أشجار الزيتون على شكل أعمدة كبيرة أو صغيرة وتبقى لمدة ستة أشهر أو سنة لتجف تماماً وتبني جدران الحجرات من الحجارة والجبس على شكل أقواس وتوضع جذوع أشجار الزيتون الكبيرة بين الأقواس كحوامل للسقف ثم تشبك بأفرع شجرة الزيتون ثم توضع الحجارة المسطحة أو الجبس في الفتحات بين هذه الأغصان وتسوى بالتراب والشكل التالي يبين سقف بأغصان الزيتون :



صورة تبين سقف بجذوع أشجار الزيتون

ج- سقف بجذوع أشجار النخيل : تبني جدران الحجرات بنفس الطريقة السابقة وتوضع حوامل السقف من أعمدة الزيتون وتقطع جذوع شجرة النخيل وتصف بجوار بعضها بين الحوامل ثم تسوى بالتراب وفق الشكل التالي :



صورة سقف بجذوع أشجار النخيل وحوامل من أعمدة الزيتون

ويغلب على النوع الثاني والثالث من الأسقف أنها لا تقاوم الأمطار لسنوات طويلة وبالتالي تسبب في تسرب المياه مما يؤدي بالأهالي إلى محاولة رصد التسرب عن طريق وضع التراب أو الرماد أو مادة الجبس القديم بعد طحنه وترقيقه وخلطه بالماء ويلاحظ على هذه الأسقف الثلاثة التمايز في الأفضلية، فنذهب الروايات إلى أن سقف الجبس البرميلي (الكاموري) أفضل منهما، ونظراً لصعوبة تحضيره وسرعة جفافه أثناء العمل يكلف الجهد الكثير عكس الأسقف الأخرى، حيث تتوفر أشجار الزيتون أو أشجار النخيل المتوفرة، ولكن الحالة المادية لصاحب المنزل هي التي تحدد سقف منزله، فإذا كان لديه أشجار زيتون ونخيل كثيرة يستطيع استعمال البعض منها، أما أولئك الذين لا يملكون أشجاراً كثيرة فإنهم يتجهون إلى استعمال الجبس في السقف لتوفير أشجارهم وخاصة لما لهذين النوعين من الأشجار من صعوبة في تنميتها وزراعتها، لأنها تحتاج لسنوات طويلة لتنمو بالقدر الكافي الذي يمكن استعمالها في سقف المنازل .

د- الأبواب والنوافذ : إن أبواب البيوت الرئيسية تميزت بكبر حجمها وذلك لمرور الحيوانات إلى داخلها وخاصة في المنازل التي بها سقيفة .

أما صناعة الأبواب فمن المتعارف عليه استخدام جذوع أشجار النخيل تقسم إلى أجزاء متساوية وتربط بواسطة قطع من خشب شجر الزيتون عن طريق تثقيبها بأوتاد من أغصان الزيتون ويتم غلقها من الداخل عن طريق قطعة صلبة من شجر الزيتون (الطرافة) أو باستخدام الأقفال الحديدية .



صورة تبين باب حجرة مصنوع من شجر النخيل

أما النوافذ فهي قليلة وذلك يعود إلى الطراز المعماري المتمثل في حجرات صغيرة الحجم نوعاً ما مع فتحة علوية تستخدم للتهوية وإخراج دخان النيران المشتعلة بداخلها وإن وجدت بعض النوافذ فهي صغيرة الحجم وعبارة عن فتحات بسيطة في أعلى الحجرات وتستخدم للدفاع عن الخطر واستخدمت جذوع أشجار النخيل مصفوفة مع بعض بواسطة أوتاد من شجر الزيتون كما في الصورة الآتية .



صورة تبين باب غرفة مصنوع من شجر النخيل

2-4: أوجه الاتفاق في استخدام شجرة النخيل بين المدينتين :

- من خلال العرض السابق لاستخدام شجرة النخيل في مدينتي درج والريانية يمكن الإشارة إلى أوجه الاتفاق في استخدامها في كلتا المدينتين كما يلي :
- 1- الاستفادة من هذه الشجرة في كلتا المدينتين حسب الظروف الحياتية للسكان .
 - 2- استخدامها في الأغراض والأدوات المنزلية المتنوعة .
 - ج- الاستفادة منها في الإنشاءات المعمارية من خلال سقف المنازل والأبواب والنوافذ .
 - د- استخراج عصيرها لغرض الشرب والتداوي
 - هـ- طحن حبوب نواتها لغرض علف الحيوانات .

2-5: أوجه الاختلاف في استخدام شجرة النخيل بين المدينتين :

بالنظر إلى موقع المدينتين حتم اختلاف أوجه الاستخدام بين المدينتين ويمكن الإشارة إلى النقاط الآتية :

أ- إن مدينة درج واحة في الصحراء لكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، حيث من سمات الواحة هي شجرة النخيل، أما الرياينة مدينة تقع على حافة الجبل المطل على سهل الجفارة وطبيعته ومناخه حتم وجود أنواع أخرى من الأشجار كشجرة الزيتون التي ساهمت في حياة السكان بالعديد من متطلباتهم المعيشية .

ب- تعددت أشجار النخيل في واحة درج حتى وصلت إلى الآلاف وتنوعت ثمارها حتى وصلت إلى (40) نوع، في حين قلتها بالنسبة لمدينة الرياينة فزرعت في الأودية ومنطقة سفح الجبل، وقرب عيون المياه ، فعددها قليل وأنواع ثمارها لا يزيد عن (10) أنواع ، مقارنة بما يوجد في واحة درج .

ج- تعددت استخدامات شجرة النخيل في الأدوات المنزلية وفي ري المزروعات بمدينة درج ، أما في مدينة الرياينة فكان استخدامها قليل في بعض الأدوات فقط، وذلك نتيجة طبيعية ؛ لان أهالي الرياينة وسكان الجبل بصفة عامة يستخدمون أشجار الزيتون ونبات الحلفاء والحلفاء المهبولة (القديم) في الأدوات المنزلية مثل الحبال والقفاف .. وغيرها كثير، حتى تم تصديره إلى الخارج عن طريق استخدام آلات حديدية لكبسه وازدهرت تجارته منذ القرن التاسع عشر، فقد ذكرت (فتحية علي عبد الله المرعي) (11) أنه " منذ عام 1870م أصبحت الحلفاء السلعة الأكثر أهمية في الصادرات إلى أوروبا "، واستمرت إلى عهد متأخرة والصورة التالية تبين آلة كبس الحلفاء تعود إلى عائلة من يفرن موجودة في المرتفع الغربي من منطقة الرومية.



صورة آلة كبس الحلفاء (2012 م).

ج- تم استخدام جذوع وسيقان وأوراق شجرة النخيل في سقف البيوت والأبواب والسلالم بمدينة درج، في حين نجد مدينة الريانية لا تستخدم إلا جذع الشجرة في السقف وفي الأبواب والنوافذ وتكون مصفوفة ومجمعة مع بعضها بأوتاد من شجر الزيتون .

3: الخاتمة :

إن الدراسات المقارنة تأتي أهميتها من معرفة نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف، مما يساعد الباحث على الوصول إلى نتائج يمكن الاستفادة منها بتبادل المعلومات بين أطراف محور الدراسة، لذا فإن هذا البحث يعطي إشارات متنوعة على استخدام شجرة النخيل بين مدينة على أطراف الصحراء ومدينة فوق سطح الجبل ، حيث تلعب مكونات الطبيعة والمناخ ووفرة المياه دورها في نمو وتكاثر هذه الشجرة المباركة . إن مدينة درج تلك الواحة الجميلة الواقعة على طرق القوافل المشهورة منذ الأزمنة الغابرة التي تكثر بها المياه وتثمر فيها مختلف أنواع أشجار النخيل ، مما جعل ساكنيها يبدعون في استخدامها في جميع متطلبات حياتهم، من حيث الأدوات، والسقوف المنزلية ، وري المزروعات ، واستهلاك ثمارها في صناعات غذائية . أما مدينة الريانية كغيرها من مدن الجبل استفادت من كل ما يوجد في الجبل من موارد اقتصادية ، كالحجارة ، ومادة الجبس ، وعيون المياه الجارية ، والأشجار التي تنمو في مختلف جوانبه متلائمة مع ظروفه المناخية من حرارة وبرودة جعلت أهالي الريانية يقومون بزراعة الأشجار التي تتلاءم مع هذه الظاهرة البيئية في الجبل ، حيث غرسوا أشجار الزيتون في المناطق المرتفعة في ظاهر الجبل ، أما في تجاويفه ومنخفضاته التي وفرت نوع من درجة الحرارة الملائمة لهذه الشجرة ، تم غرس هذه الشجرة المباركة في الأودية وسفح الجبل وجوار عيون المياه عن طريق بناء مصطبات من الحجارة والأتربة حيث غرسوا مختلف النباتات ومنها شجرة النخيل الباسقة والأشجار الملتفة كالعنب والتين والرمان وغيرها حتى أطلق عليها الأهالي لفظة (جنان) أو (سقيفة) لكثرة الأشجار المختلفة الأنواع والمتشابكة الأغصان . وقد استخدم أهالي مدينة الريانية كغيرهم من سكان الجبل كل أجزاء هذه الشجرة المباركة واستفادوا منها في حياتهم اليومية من خلال أكل ثمارها، وشرب عصيرها، وصناعة أدواتهم المنزلية من أغصانها وسيقانها، ومن جذوعها سقف دورهم وأبواب مداخلها وحجرات أقامتهم وغرف تخزين مؤنهم، ونوافذ التهوية لديهم، وبالتالي كان لهذه الشجرة دوراً كبيراً جداً في استخدامها بالإنشاءات المعمارية بمدينة الريانية.

وتبرز نقاط الاتفاق بين المدينتين بأن في كليهما تزرع أشجار النخيل وكل منهما استخدمها بما يلائم حياته وبيئته، وأبرز أوجه الاختلاف هو تنوع استخدام أهالي درج لأغلب متطلبات حاجياتهم من هذه الشجرة، أما في الرياينة شاركت هذه الشجرة أنواع أخرى في الاستخدام وهي شجرة الزيتون ونبات الحلفاء مما قلل من استخدامها في الأدوات المنزلية .

4- الهوامش :

- 1- أحمد عيسى : معجم أسماء النبات، الطبعة: الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص 138.
- 2- معجم المعاني الجامع (مناح عن الموقع- alaany.com)، ص 5.
- 3- طارق ميلاد هبو " ملخص لتصور مقترح لصيانة مبنى القصر بمدينة درج القديمة " ندوة مهرجان درج السياحي العالمي للفنون والتراث، السبت 15 . 12 . 2007م، ص 20.
- 4- جمعة عثمان صالح " التراث الشعبي المعماري .. أهميته ووسائل المحافظة عليه " ندوة مهرجان درج السياحي العالمي للفنون والتراث، السبت 15 . 12 . 2007م، ص 13.
- 5- أحمد محمد أنديشة : التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، 1993م، ص 124.
- 6- صادق النهوم : تاريخنا ، الكتاب الثاني، دار التراث، جينيف، د: ت، ص 213.
- 7- علي الميلودي عمورة : ليبيا تطور المدن والتخطيط العمراني، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 1998م، ص 69.
- 8- عمران أحمد حسين الشريف " النشاط الاقتصادي في ليبيا القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الفينيقي " مجلة كلية الآداب ، العدد : الثاني، تصدر عن كلية الآداب، مصراته ، ربيع الأول 2014م، ص 160.
- 9- أحمد الجزامي : " الخط المعماري للمدن الأثرية في الوطن العربي " دراسة مقارنة ، ورقة بحثية منشورة ، المؤتمر الهندسي الثاني ، جامعة عدن، 2009م، ص 35.
- 10- هدى محروس " التشكيل المعماري وهوية بعض مناطق مدينة القاهرة " بحث منشور، مؤتمر العمارة والعمران في إطار التنمية المستدامة، القاهرة، 2004م، ص 120.
- 11- فتحية علي عبد الله المريمي : نبات الحلفاء كمورد اقتصادي بولاية طرابلس الغرب 1868-1911م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص 113.